القصة الأولى : حب عائد..
القصة الثانية : أختي..
القصة الثالثة : زواج خاطئ ..
القصة الرابعة : نقطة ضعف ..
القصة الخامسة : زوجي بخيل ! ..
القصة السادسة : قتلت زوجي !..
القصة السابعة : لم أنجب ..
القصة الثامنة : تضحية ..

القصة الأولى

حب عائد ..

حب طفولتى هو ، وعنفوان مراهقتي وشبابي ، كانت نافذة بيتهم قبال نافذتنا ، أراه كل صباح فتنتثر حبات السكر في طريقي ، وتذوب بتأن فتحلي أيامي ، كبرنا سويا في شارع حينا ، كنا صغارا نلهو بينما ينمو الحب في دواخلنا على حين غرة منا ، كان سري الصغير الذي احتفظ به ، وكنت سره الذي لم يبح به إلا لنفسه .

وظننا أنه سرا ، وفي الواقع باحت عيناه لي وجهرت بعشقي ، وباحت ابتسامتي عند رؤيته وأعلنت عن لوعتي ، يزل لساني باسمه أمام الجميع فارتبك ، ويتلعثم هو عند الحديث عندما يذكر اسمي أمامه .

أمر في شارعنا فتتابعني عيناه إلى أن أختفي ، وأنتظر قدومه كل مساء من خلف نافذتي ، ليطمئن قلبي بعودته . دق باب بيتنا أخيرا ، وطلبني من أهلي ، وجاء أبي ليخبرني إن كنت موافقة ، لا يعلم أنني متيمة حد النخاع ، وأتلهف للقرب والوصال . وتمت خطبتنا .

قال لي (أريدك لتتيري دروبي الحالكة ، فأنتي قمر عتمتي ، وشمس نهاري) .

ثم دهستنا ظروف معيشتنا ، فشتت طرقا كنا قد شرعنا في السير بها معا ، واضطر إلى السفر ليسرع في تجهيز بيتنا ، وعدني بمال وفير ، فرصة لن تتكرر ، فقط سنة أو سنتين ، ثم يجمعنا عشنا الصغير للأبد ، ولن يفرقنا سوى الموت .

قلت له (لا أريد مالا ، أريد قربك فقط ، كيف سينقضي يومي بدونك ؟ كيف ستمضي حياتي وأنا لا أتنفس إلا هواءك ؟)

برقت عيناه بدموع منعها فقط كبرياء الرجال من أن تسقط أمامي وقال (لن أتأخر .. سنصبر على أوجاعنا سنة أو ربما اثنتين ، نموت أياما لنحيا ما تبقى من عمرنا سويا)

وسافر ، ولم أعد أنا على قيد الحياة ، وهوى كياني في حفرة عميقة من الألم ، لم يكن ينتشلني من قاعها سوى بضع كلمات يخطها لي كل فترة ، فأعود للحياة وأنا أقرأ حروفها ثم أفارق الحياة ثانية بمجرد أن تنتهى .

ومر أمد بعيد على آخر رسالة خطها لي ، لا أدري لماذا ؟ وانقضى عام كامل ، أناديه فيرتد إلى صدى صوتي محملا بنبرات أنهكها الشوق والحنين .

ثم جاءتني بضع رسائل باردة ، وكأنه كتب حروفها من قطع ثلج جامدة ، كذبت إحساسي ، ووأدت حيرتي في مهدها ، والتمست أعذارا بعدد أيام تلك الأعوام التي مرت كلها ، نعم ، أعوام ، ففي نهاية كل عام كان يتجدد الوعد تلقائيا (سامحيني ، سأعود قريبا ... أنا حبيبك)

وكانت الكلمة التي يختم بها رسالته كل مرة ، تحثني على الانتظار ، وكأنه يذكرني بوعدي له ، ويطلب الصفح مني ، نعم ، هو حبيبي ، ولابد أن انتظر مهما كلفني الأمر .
اعتراضات شتى من أبي، تلتها مشكلات افتعلتها أمي ، لكي افسخ الخطبة ،
بكيت أمامهم وتوسلت إليهم أن لا يسلبوني روحى ، امتزجت أرواحنا منذ عهد قديم وانتهى الأمر ، فكيف يطالبونني بما لا أقوى عليه ؟ سيكون الموت حينها هو أسمى أمنية يمكنني الحصول عليها .
مرت أعوام لم أحصها عددا ، أعيش فيها على ما يرسله لي من كلمات ، وأقتات على بضع صور مشوشة يرسلها لي من حين لآخر .
وكان حريصا على أن يختم رسائله بتلك الكلمة التي تجتاحني وتحولني إلى رفات جسد مات منذ زمن ليس بقريب (أنا حبيبك) .
ثم أخبرني ذات صباح مشؤوم أن الديون قد تراكمت عليه ، وأصبح لا مفر من أن يتصرف أي تصرف من الممكن أن يخرجه من مأزقه . شعرت بشئ ما بين سطور رسالته ، شئ شق صدري فأخرج إحساسي الذي طالما كذبته ، وحيرتي التي دأبت على وأدها .
وصدقت ظنوني حين باغتني بذلك القرار
(سأتزوج من سيدة تكبرني ، ستمنحني جنسية البلد التي أعيش فيها ، وستحل مشاكلي وأزماتي ، أنا مهدد بالسجن ، وليس بوسعي أن اختار ، هو طريق واحد فقط ويجب أن أسلكه ، إذ أنه لا عودة بعد الآن . أرجوكي سامحيني ، أحبك أنت ولا أريد سواك ، أنتى قمر عتمتي وشمس نهاري أتذكرين ؟ حبيبتي أنت وأنا حبيبك)
شعرت بغصة ، وخرج من فؤادي أنين خيل إلى أنه تهادى إلى أسماع كل شئ حي يعيش على الأرض .
وزفرت زفرة حارة بدرجة حرارة قلبي الذي كان يغلي كغلي الحميم ، ثم اتخذت قرارا بانفصال روحي عن روحه أخيرا ، أشفقت على نفسي ، فلقد انتابني التعب من اللاشئ الذي انتظره ، وصبرت على النهاية التي ما إن تقترب مني حتى تغادرني بلا رحمة ، فلينته هذا العبث إذن !
تقوقعت في البداية على ذاتي ، و بذلت محاولات عدة إلى أن لملمت أشلائي ، ثم استطعت مغادرة قوقعتي وقررت أن أعيش ..
ومع أول رجل جاء يطلبني وافقت بدون تردد ، لا يهمني من هو ، كلهم سيان الآن .
ومر وقت كبير على خطبتي من ذلك الرجل الحنون ، احتواني ، وساعدني على النهوض والخروج من أحزاني ، كان يعرف قصتي ، وعاهدني على أنه سيبذل قصارى جهده حتى تبرأ جراح قلبي ، وتختفي ندبات روحي .
بدأت في التعلق به ، وكان دائم التواجد معي بعقله وبكل حواسه ، يسمع شكوتي ، بل كان يفهمها قبل أن أتكلم ، أكاد أقسم على أنه كان يمتلك قدرة عجيبة في معرفة مكنوني ، فقط بالنظر إلى عيني .

استطاع بقدرة ساحر يمتلك عصا سحرية أو يحفظ تعويذة ما ؛ أن يحول كل البؤس الذي عشش بداخلي على مر تلك السنوات الفائتة إلى شعور بالاكتفاء والرضا بوجوده .
وأعني هنا ما كتبته بالحرف الواحد " شعور بالإكتفاء والرضا "
لن استخدم كلمات العشق والغرام مجددا ، فأصبحت لا مجال لها من الإعراب في حياتي .
وقررنا الزواج بعد أن استعادت نفسي توازنها ، وشفيت من لعنة ذلك العشق القديم .
وفي ليلة عرسي ، تفاجئت بوجوده أمامي ؛ صاحب تلك اللعنة التي بالكاد برأت منها ، فسرت قشعريرة قاسية اهتز لها جسدي . لم يتكلم ، ولم يبرأ نفسه ، ولم يستجدني عطفا ، بل جثى على ركبتيه أمامي ، ينتحب مثل طفل صغير تائه يبحث عن أمه فلم يجدها ، واستطعت أن اتبين جملة واحدة أخذ يرددها (سأموت إن تركتيني).
جفلت للحظة ، وها هو الطريق يفترق بي من جديد
حبيب عائد ، وخطيب ينتظر ..

القصة الثانية

أختي ..

تربعت أختي على عرش قلب أمي .. ولم لا فهي الصغيرة المدللة .. كان جمالها آخاذا .. تسلب العقول وتخرجها من اتزانها.. وتأخذ بالألباب وتدفعها دفعا نحو الجنون ..تشبه أمي إلى حد كبير ..لها نفس العينان الواسعتان .. والشعر الثائر ذاته .. أما أنا فلا أملك إلا تلك البثور التي تملأ وجهي وجبيني.. وتشوها على وجنتي جراء حريق نشب في غرفتي منذ أعوام كانت السبب فيه هي .. أختي .. كانت تلعب بأعواد الثقاب فاندلع حريق هائل أمسك بفراشي .. هربت هي وتركت النار تأكل وجهي .. طال اللهب أجزاء من رأسي فلم ينبت بها الشعر ثانية ..ولذلك أضع إيشاربا لا يفارقني حتى عند نومي .. وكانت تتعمد مضايقتي بأن تأتي من خلفي وتنزع عني حجابي .. وتضحك من أعماقها على فزعي .. فأحاول أن أخفي تشوه رأسي بيدي .. فتأخذه وترمي به بعيدا حتى تستمتع بهلعي وقلة حيلتي ..كانت لا تأبه لدموعي .. بل لا تراها من الأساس .. وأكثر ما كان يؤلمني .. ضحكات أمي على صنيعتها تلك !!

كل يوم أنظر إلى نفسي في مرآة غرفتي فيحترق ما بداخلي ..حتى يهيأ لي أنني أشم رائحة ذلك الحريق القديم يلهب أحشائي .. وانزع غطاء رأسي وأتحسس مكان شعري .. واذرف دموعا تملأ أنهارا جفت من زمن بعيد ..

كنت أكره الزيارات العائلية .. وأمقت الخروج من المنزل إلا لضرورة قصوى ..كانت أختي مغرورة وتستمتع بإيذائي .. تقف كل صباح أمام المرآة ذاتها ..التي تعكس قبحي .. تسدل شعرها الأسود الجامح وتدندن وهي تنظر بإعجاب إلى وجهها المضئ .. وتقول وهي تنظر إلى (لم لا تفكرين بإجراء عملية تجميل لوجهك .. أنا اخجل من كونك أخت لي ..)

كانت كلماتها تصيبني بالغثيان .. ويخيل إلى أنها ليست شقيقتي ..فكيف تجرؤ على معايرتي بهذه الطريقة ..هل نسيت أنها السبب في تشوهي ..

ازادت حالتي سوءا عندما تهافت الخطاب من كل حدب و صوب على باب منزلنا يريدون أن يحظوا بالموافقة على الزواج منها .. أذكر أنه كان يأتي في اليوم رجلين أو ربما ثلاثة رجال .. كلهم يريدون أختي .. لا أحد يراني .. لا أحد يريدني .. ألتمس لهم العذر أحيانا .. فمن ذا الذي يجرؤ على أن يرى قبح وجهي كل صباح ؟

وفي مساء كل يوم كانت تجلس في غرفتي مع أمي يتهامسان ويتساءلان :

من يستحق الفوز بجمال خلاب كهذا ؟ وماذا سيدفع بالمقابل ؟ منزلا كبيرا تحيط به حديقة ؟ وخادمة .. فمن المؤكد أن أختي التي تقبع النهار بأكمله تضع الخلطات على وجهها حتى تحتفظ بنضارته ؛ لن تفني نهارها في الطبخ أمام الأبخرة المتصاعدة من الطعام التي من الممكن أن تؤذي بشرتها

الملساء .. نسيت أن أخبركم أن مهمة إعداد الطعام وتنظيف المنزل هي من نصيبي أنا .. فكيف لملكة جمال أن تقشر البصل وتنظف الدجاج وتعد الحساء؟ كانت تخاف على أظافرها المصبوغة بعناية .. فلا تضع أصابعها إلا في خليط من ماء الورد والزعفران ..
قالت أمي (وسنطلب منه سيارة خاصة بك ..يقودها سائقا متفرغا لزياراتك وتسوقك ما رأيك يا عزيزتي ؟)
قالت أختي بحماس (بالطبع .. وأريد أيضا خاتما ماسيا ورصيدا كبيرا في البنك ما رأيك ؟)
ردت أمي (يجب أن ينفذ كل مطالبك .. فمن سيحظى بك سيكون محظوظا بالطبع ..ويكفيه فخرا أن تسيري بجانبه)
كانت كلماتهما ثقيلة على صدري .. فأختي تصغرني بسبعة أعوام كاملة ..تمنيت أن يطلبني أحدهم للزواج مثلها .. وجثم شبح الحقد على صدري .. ولأول مرة .. تمنيت أن لو لم تخلق أختي !!
فبالرغم من إساءتها لي .. إلا أنني كنت أحبها .. وكنت أقنع نفسي بأنه لابد وأن ستكف عن إيذائي يوما .. وستعرف مدى حبي لها وتضحيتي من أجلها .. وستفهم أنني سامحتها من كل قلبي على تشوه وجهي الذي تسببت به ..
ولكنها لم تكف .. ولم تعرف .. ولم تفهم !!
ازدات شعلة الغيرة في أعماقي .. إلى أن صارت ألسنة من نار سوداء .. أحاول إخمادها في اليوم ألف مرة .. ولكن هيهات لي أن أفلح ..
وجاء اليوم الذي يسبق ذلك الحدث الكبير ..خطبة أختي على أحد المهووسين بجمالها ..
وعقدت العزم على الثأر بعد تلك السنوات العجاف التي مرت بي ..
وبعد أن انتهت من وضع المساحيق التجميلية التي تهتم بفردها على وجهها كل مساء قبل النوم ..
ذهبت إلى فراشها.. فأخذت صينية العشاء بعد أن انتهت منه وغسلت الصحون وذهبت إلى غرفتنا ..
فوجدتها تشبه الحوريات وهي نائمة .. وجه جميل .. بشرة ناصعة البياض .. وشعر غزير ينسدل على وسادتها في تمرد ..
تنفست شهيقا عميقا ملأت به صدري .. علني أهدأ ويخف توتري ..
واستعذت بالله من شيطاني .. إلا أنه أبى أن يدعني وشأني ..
وعقدت العزم على ما نويت فعله .. وبدون تردد .. ذهبت إلى المطبخ وأحضرت أعواد ثقاب تشبه تلك الأعواد التي قضت على حياتي ..
وأشعلتها بحماس ورميتها على فراشها .. تماما مثلما حدث معي ..
وأغلقت باب الغرفة .. وذهبت إلى الشرفة بهدوء أحتسي كوبا من الشاي كنت قد أعددته لنفسي ..
وجلست استمتع بصرخاتها وأنا أخفى ابتسامة ظهرت على ثغري رغما عني!

القصة الثالثة

زواج خاطئ

اتخذت قراري أخيرا .. يجب أن أعترف لها بأن زواجي منها ليس إلا خطيئة كبرى .. أنا بالكاد أشعر بها .. ينقصني الكثير معها ..هي زوجة جميلة وطيبة القلب ..تتفنن في إرضائي والاهتمام بي .. تعلمت جميع أصناف المأكولات والحلويات الشرقية والغربية ظنا منها أن الطريق الأقرب لقلبي هو معدتي .. تتزين لي وتتعطر بأغلى العطور الفرنسية .. ولكنها ليست المرأة التي أحب .. أقولها وبكل أسف .. نعم أنا لا أحب زوجتي .. لا أشعر معها بتلك العواطف التي تمنيتها دوما ..أعلم جيدا ما الذي يدور بخلدك عني الآن .. لقد اتخذت انطباعا سيئا عني بالطبع.. وقلت سرا أنني رجل قاسي القلب .. متبلد المشاعر .. سوف أحطمها وسأكسر قلبها الغض بلا شفقة.. ولكنني أقسم على أنني أخاف من لحظة المواجهة تلك .. بل وتدمع عيناي عندما أتخيل ملامح وجهها الطفولية وهي تتوسل إلي في كبرياء أن لا أتسرع .. ولكنني لم أعد أقوى على الاستمرار بحياة تحسب علي أيامها ..حياة أحيا فيها بلا روح ..بلا قلب .. بلا حب ..

سأتركها لتحظى برجل يقدر حبها فأنا لا أستحقه. وسأرحل أنا في طريق آخر عائدا إلى من أحببتها يوما ..سأكمل معها ما تبقى من أيامي .. ستحي لي قلبي الذي كاد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

وستشرق شمس نهاري بعد أن تعيدني لحياة طالما تخيلتها معها ..

لم أنم تلك الليلة خوفا من المواجهة .. تحسست الفراش بجانبي فلم أجدها .. سأخبرها الآن بكل شئ علني ارتاح من هذا القلق الذي يوشك أن يهلكني .. ولأوفي بعهدي إلى حبيبتى التي طال انتظارها لي .. بحثت عنها في أرجاء البيت فلم أجدها .. ترى أين ذهبت منذ الصباح الباكر ؟ كسر الصمت من حولي صوت الباب وهو يفتح من الخارج معلنا مجيئها ..تلعثمت وازاد جفاف حلقي ..وتصنعت ابتسامة على ثغري أخفي بها توتري .. قالت بصوتها الحنون : صباح الخير يا حبيبي ..

لاحظت فرحة عارمة على محياها .. استغربت وقلت : أين كنت ؟ ! أريدك في أمر هام ..

تفاجئت بها تحتضنني بشدة وتدور كالفراشة من حولي وتقول : لقد تحقق الحلم أخيرا .. سأجن من فرط سعادتي ..لقد تأكدت الآن من طبيبتي بأنني أحمل جنينا في أحشائي .. يالفرحتي .. أعلم بأنك تفاجئت يا عزيزي فقد طال انتظارنا إلى أن فقدنا الأمل .. ولكن الله أراد .. ولا راد لقضاؤه..

تسمرت في مكاني ولم أجرؤ على الحديث .. تأملت فرحتها .. وعانقتها وأنا مشتت الذهن .. تتحطم بداخلي الأحلام حلما تلو الآخر .. أيقنت أخيرا ..أنني ومع الأسف تأخرت كثيرا في اتخاذ قراري ..ألم يكن بإمكاني التبكير باتخاذه شهرا واحدا فقط ؟! شهر واحد كان كفيلا بانهاء معاناتي .. تركتها

تخبر أمها بنبأ حملها في مكالمة هاتفية وهي تشهق من شدة الفرحة ..دخلت غرفتي لا يسمع صوت أنيني سوى روحي المكلومة .. هاتفت حبيبتى وقلت لها بعد صمت رهيب :
حبيبتي أعتذر .. فقد فات الآوان !!

القصة الرابعة

نقطة ضعف

كانت ملكا له .. تحركها أصابعه كيفما شاء .. كدمية من ورق مقوى يوجهها يمنة ويسرة ..كانت موافقتها نابعة من رضاه .. ورفضها قائم على عدم اقتناعه بالأمر ..طريقها كان مسلكه الذي اختاره هو .. فبحضرته لا توجد كلمة "لا " في قاموس كلماتها ..

كان يعجبه ذلك منها .. وصدقا .. تفننت في الأمر وأبدعت فيه حتى أصبحت كخاتم يلتف حول خنصره ..

فجأة تبدل الأمر برمته وانقلب رأسا على عقب .. الآن يريد من تعانده ؟ أصبح يميل لمن تقول " لا .. لست مقتنعة بكلامك.. لدي وجهة نظر أخرى"!

ألم يقل لها منذ بداية عهدهما معا :

" أحب أن أشعر بضعفك يا صغيرتي ..فأنا أريد في من أهواها الطاعة العمياء "

وكانت كالبلهاء تركض خلفه بحماس .. تلهث من وراءه لتحاول اللحاق به .. حتى أنه كان ينسى وجودها أحيانا..

ومن هنا.. قررت الدمية قرارا حاسما لا رجعة فيه :

إدراج كلمة" لا" في قاموس حياتها .. أخرجها من صمتها صوته يقول " هيا يا عزيزتى .. إرتدي فستانك الأسود بسرعة لدينا أمسية ساهرة اليوم "

وبعد ساعة .. شوهدت في المطعم تسير خلفه مرتدية فستانها الأسود !

القصة الخامسة

زوجي بخيل !

لم أر في حياتي أبخل منه قط . ليس في المال والإنفاق وحسب ولكنه يأبى أن يجود علي بمشاعره أيضا.
تزوجته منذ سبع سنوات ، عانيت فيهم من شحه وإمساكه ..
بدأ الأمر عندما لاحظت أنه يحاسبني على كل كبيرة وصغيرة .تحقيق متواصل قد يطول لساعات .
كم أنفقتي ؟ وبكم هذه ؟ وغالبا ما كان يختتم استجوابه لي بجملة (يا لك من ساذجة ، لقد قام البائع بالنصب عليك فأنت بغباؤك أضحيت صيدا ثمينا لأي بائع في السوق) ، يقول هذا لأنني اشتريت الأرز بأربعة جنيهات بدل من تلاثة جنيهات ونصف مثلا**!!**
ثم قرر فجأة أن يتسوق هو ويعفيني من تلك المسؤولية التي لم أكن أهلا لها في نظره .
فكان يجوب الأسواق والمحلات حتى يقارن بين الأسعار ويفرح فرحا عجيبا عندما يعثر على شئ رخيص بغض النظر عن جودته .
طلب مني في أحد الأيام أن أقص شعري الطويل لأنه يستهلك كمية أكبر من رغوة التنظيف **!**
أما وقت الغداء فحدث ولا حرج ، كان يقسم نصف الدجاجة على أربعة أفراد مخترقا بذلك كل قوانين الرياضيات والحساب **!**
الزيارات العائلية ممنوعة لأنها تكلف الكثير ، كما أن النزهات ممنوعة أيضا لأنها تفسد الأطفال وتجعل تطلعاتهم أكبر من إمكانياتنا .
كان ينهر أطفالي لأنهم يقضون وقتا طويلا في استذكار دروسهم مستهليكن بذلك كمية كبيرة من الكهرباء .
اخترع زوجي مقولة خالدة يؤمن بها ولا يجيد سواها وهي
"كل شئ يمكن إصلاحه ، فلماذا نشتري الجديد ؟"
وتراكمت تبعات تلك المقولة الخالدة على أطفالي . فلم أشتري لهم ثيابا جديدة منذ سنتين . كنت أصلح ما تلف منها بخياطته المرة تلو الأخرى .
وكان حريصا بالطبع أثناء شراؤها على أن تكون أكبر من مقاسيهما بكثير حتى يتسنى لهما ارتداؤها لبضع سنوات قادمة **!** ولكني كنت أجد مشكلة كبيرة في خياطة الأحذية **!**
تذمرت من تقشف تلك الحياة التي أعيشها معه ، فاتهمني بالتبطر .

أكثر ما كان يؤلمني ، هو عدم قدرتي على تلبية احتياجات أطفالي . أسمعهم يتحدثون عن الألعاب والحلوى وكأنها خيال علمي ، مساكين هم ، لا يدركون أنها مجرد أشياء بسيطة حرموا منها بسبب بخل أبيهم .
حاولت جاهدة أن أدخر نقودا دون علم زوجي ، وفي أحيان كثيرة كان يكتشف ذلك فيعاقبني عقابا شديدا . وكنت أشتري في الخفاء بعض أنواع الطعام الممنوعة من الدخول إلى منزلنا ، وأطعم أطفالي منها سرا حتى يتعرفون إليها إذا ما ذكرت أمامهم .
ثم اكتشفت مصادفة أن زوجي يمتلك رصيدا كبيرا جدا في البنك ، رصيد قام بجمعه على مر سنوات طويلة ، سنوات عجاف لم ينزل الغيث فيها على بيتنا ولو لمرة واحدة .
ثم لاحظت منه شرودا استمر لعدة أيام وكأنه يفكر بأمر ما ، فلم أعبأ ، ولم أسأله .
وبدون مقدمات ، دخل زوجي في انهيار عصبي حاد قاده إلى مصحة لعلاج الأمراض العقلية !
لم أتفاجي بالأمر فقد توقعت ذلك ،
عندما سمح لي طبيبه النفسي بزيارته في المصحة ، ذهبت إليه ، وكان ما زال تحت تأثير المهدئات والمسكنات .
قلت :
- أحمد الله على سلامتك يا حبيبي ، لم أتوقعك هشا لهذه الدرجة ، ماذا يعني فقدانك لكل أموالك دفعة واحدة ؟! نعم لا تندهش ، أنا أعلم أنك تمتلك أموالا طائلة ،
لماذا لم تخبرني بأنك اشتريت ذلك البيت ؟ أظننت أن هناك أثارا فرعونية وكنوزا تحت أرضه بالفعل ؟
دوت ضحكتي في جنبات الغرفة ، وأردفت :
بارع أخي ، لقد أتقن دوره في تلك التمثيلية التي كانت من تأليفي .
أقنعك بأن ذلك البيت يحوي كنوزا ستدر عليك ملايين النقود ، ولأنك غبي وطماع صدقته وقمت بشرائه من رجل غريب ودفعت فيه كل ما تملك .
من المؤكد أنك اكتشفت أنه بيت قديم لا يساوي شيئا، ولذلك أنت هنا الآن .
وسأفاجئك ، ما الرجل الذي ابتاعك البيت إلا صديق لأخي .
اه .. نسيت أن أخبرك ، أنا من خططت لكل هذا ، ولكن لا تقلق، فإن النقود بحوزتي الآن ، ولكنني لست بخيلة مثلك ، سأحاسب المستشفى وسأتحمل نفقات علاجك !

القصة السادسة

قتلت زوجي!

وها أنا ذا أمسك بتلك المقلاة اللعينة التي سيقوم الشرطي فيما بعد بالتحفظ عليها كأداة لجريمتي .
أرى الدماء تسيل من رأسه المهشمة على أرضية المطبخ ، تبا لكل ذلك ، لقد تعبت في تنظيفها هذا الصباح ، وها هو يلوثها الآن بدمائه.
ماذا سأقول للمحقق حينما يسألني لماذا قتلتي زوجك ؟ سأنكر بالطبع ، ولكن بصمات يدي على المقلاة ، الكذب لن يجدي في موقف كهذا ، لا مفر إذن من قول الحقيقة الكاملة ، بإمكاني تخيل ما سيحدث ، سيرمقني المحقق بنظرات حادة ، وسيقول بصوت ساخط :
-هيا إعترفي ، فلن يفيدك الإنكار !
وسأجاوب بكل تلقائية :
- لن أنكر يا سيدي ، ولكن أريد من عدالتكم الرأفة ، وسأروي تفاصيل ما حدث ،كنت أعيش يوما عاديا أذهب إلى عملي في الصباح ، وأعود لأتجه للمطبخ قبل أن أبدل ملابسي ، أشرع في تحضير الغداء قبل عودة زوجي وأطفالي ، يذهب زوجي إلى غرفته لأخذ قيلولة يستعيد بها نشاطه ، وأقوم أنا بترتيب البيت ومساعدة أطفالي في استذكار دروسهم ، وفي المساء ، يتأنق زوجي استعدادا للخروج مع أصدقائه الذين يتخذون من المقاهي المجاورة مرتعا لهم كل ليلة .
الأوقات التي تجمعني وزوجي في البيت ما هي إلا سويعات قليلة ، فكل منا مشغول بعمله في الصباح ، أما المساء فكان ذهاب زوجي للمقهى يوميا ، يعد أمرا بديهيا ، لا أذكر أنه تغيب عن ذلك الموعد حتى في أوقات مرضه .
ثم تبدل حالنا بعد أن حل الوباء على كوكبنا ، أجبرني الحجر الصحي على المكوث في المنزل ، والتزم زوجي أيضا باجراءات العزل ، ولم يبرح البيت إلا لضرورة قصوى ، ولأكون دقيقة ، لم يبرح زوجي مكانه على الأريكة إلا لضرورة قصوى !
وفي يوم الحادث
نهض زوجي كالمعتاد في تمام السابعة ، وبمجرد أن قام حتى سمعت صوته يناديني :
- أنا جائع أريد أن تجهزي لي إفطارا شهيا
قمت على مضض لأجهز له الفطور ، وقبل أن ينتهي من تناوله ، قال :
- أريد على الغداء دجاجة مشوية ، وكرات لحم ممزوجة بشرائح البصل ، وأريد حساء الفطر اللذيذ ، كما أنني أشتهي صحنا من شرائح اللازانيا المتراصة فوق طبقة من اللحم المفروم
فقلت له من بين أسناني :

- أليس من الأفضل أن تترك لمعدتك فرصة لهضم ما أكلته، لماذا تفكر في وجبة الغداء الآن ؟!
لم ينفك زوجي العزيز في إبداء رأيه في كل ما أفعل طيلة النهار ، فدخل إلى المطبخ أثناء انشغالي بإعداد الطعام وبدأ في توجيه الانتقادات والأسئلة :
لماذا تتركين صنبور الماء مفتوحا هكذا ؟
لماذا تقشرين البصل بهذه الطريقة ؟
لماذا تضعين علبة الملح على هذا الرف ؟
هل وضعتي خلطة التوابل الحارة على الحساء ؟
وبعد أن أبدى جميع ملاحظاته ، خرج من المطبخ أخيرا ، فتنفست الصعداء ، وقبل أن أخرج زفيري سمعت صوته ينادي بقوة :
- أين أنت ؟ تعالي حالا !
فتركت ما بيدي ، وذهبت مسرعة بعد أن أصابني القلق لأتفاجئ به يقول :
- أحضري لي " ريموت " التلفاز ! لا أستطيع النهوض !
نظرت إلى الطاولة التى أمامه بذهول وقلت بغيظ :
- ها هو أمامك على الطاولة ! لماذا تناديني وأنت تعلم بأنني مشغولة في إعداد الطعام ؟
فتمطع في كسل ولم يرد .
بعد العصر تقريبا ،قام ليأخذ جولة في أركان البيت ، كان يفتش ويبحث عن شئ لا أعرفه وكنت أسير خلفه كالآلة الكهربائية
- ما هذا الغبار الذي يعلو تلك الطاولة ؟
فأجبته :
- سأنظفه حالا و ...
- فسألني:
- أين ذلك " الراديو " الذي أخبرتني أنه قد تلف منذ سنتين ؟ سأحاول تصليحه !
فذهبت لأبحث عن ذلك " الراديو " الذي لا أتذكر لونه ولا شكله وأنا اتساءل في نفسي :
- كيف تذكره زوجي الآن ؟ ! وكيف خطر على باله إصلاحه في هذا الوقت ؟
وقبل أن أجده ، جاءني صوته من غرفة النوم :
- ما كل هذه الجوارب المنفردة ؟
أخفيت سخطي وقلت بهدوء :
- لا أدري ، سأبحث عنهم في الحال.
فتح خزانة الملابس وأخذ يبعثر محتوياتها وسألني :
- ما هذا الإهمال ؟ أين ذلك القميص الأسود الذي كنت أرتديه في عرس أخيك ؟

رفعت حاجبي في تعجب وقلت :
- لقد مرت خمس سنوات كاملة على عرس أخي ! ولكن سأجيبك ، لقد توقفت عن ارتداء ذلك القميص عندما اكتشفت أنك لا تستطيع إقفال أزراره بعد أن زاد وزنك وبرزت بطنك ! فتبرعت به وسط مجموعة من الملابس لجمعية خيرية .
انقضى ذلك النهار بعد عدة مناوشات كنت قد استنفذت فيها كل طاقتي ، وأتى المساء وأنا منهكة ، أتوق لبعض الراحة والاسترخاء في غرفتي . أمسكت بكتابي المفضل لأقرأ بضع صفحات منه وإذا بي أسمع صوته يناديني من الخارج
فذهبت إليه وأنا ألعن ذلك الحجر الصحي في سري ،
فقال وهو يدقق النظر في تلك اللعبة الإلكترونية الحمقاء التي لا يمل منها :
- أريد كأسا من عصير الفراولة الطازج وقطعة كعك مزينة بالشوكولاته.
ذهبت إلى المطبخ صاغرة ، وقمت بإعداد العصير والكعك ولم أنس تزيينه بقطع الشوكولاته حتى لا يتهمني بالتقصير ، أو يبدأ في سرد ذلك الحديث الممل الذي يردده على مسامعي عن تلك الأيام الخوالي التي كان يتمتع فيها باهتمام أمه الزائد ، وعن ذلك الدلال الذي كان يتنعم فيه قبل زواجه بي .
تساقط جفناي رغما عني ليعلنا دخول عقلي وجسدي في حالة سبات عميق وشعرت بقدوم زوجي إلى الغرفة محدثا ضجيجه المزعج ، اندس بجانبي في الفراش ، وقال:
- أين العشاء ؟ لماذا لا تهتمين بي ؟ لقد أصبحت مقصرة في أمور شتى ، وحذرتك كثيرا من أن هذا التصرف ستكون عاقبته وخيمة ، هل تعلمين ماذا كانت تفعل أمي قبل أن أتزوجك ؟ لقد كانت .....

فلم أدر بنفسي إلا وأنا أمسك تلك المقلاة وأنهال بها على رأسه حتى سالت منها الدماء ،
أحسست بهزة عنيفة رجت جسدي ، فأخذت أتلفت حولي بنصف وعي ، فوجدتني في المطبخ وبيدي مقلاة ،
وسمعت صوتا يناديني من الخارج :
- هيا أسرعي ، أنا جائع !

القصة السابعة

لم أنجب

لم أنجب ، تلك هي خطيئتي .
ومن هنا عرفت أن الخطيئة ليست بالضرورة شيئا سيئا يرتكب ، أو فعلا محرما يؤتى بإرادة كاملة دون شعور بالذنب . بل اتضح لي أن الخطيئة من الوارد جدا أن لا تكون لك فيها ناقة ولا جمل ، كخطيئتي .
عاقبني زوجي على جرم لم أفعله ، فكيف يتسنى لي أن أضع جنينا في رحمي ؟
كان قاسيا معي ، متناسيا كل مودة ورحمة أمره الله أن يعاملني بها ، صبرت واحتسبت أجري عند خالقي . ونزعت السم من كلامه قبل أن يستوعبه عقلي ، وتحملت سقطاته الواحدة بعد الأخرى . إلى أن حادثني بشأن زواجه من أخرى ، وقع الخبر كان ثقيلا على قلبي ، ولكنني لم أثر في وجهه ، ولم أجرؤ حتى على معاتبته ، فليس من حقي أن أحيل بينه وبين سعادته ، ولا أملك أن أخيره بيني وبين حلمه في أن يحمل طفله ، تفاجئت بنفسي وأنا أتوسل إليه أن لا يطلقني ، وذكرته بأنه لا ملجأ لي .
دهست كرامتي ، ونحيت كبريائي جانبا ، ورجوته أن يبقي علي في منزله .. فجاوبني بكلمات لن أنساها ما حييت
(حسنا .. لن أتخلى عنك .. ولكني أفتقر إلى المال لأشتري بيتا جديدا ، مضطر أنا إلى أن أجمعكما في بيت واحد ! ما رأيك ؟)
مسحت دموعي بكفي المرتعش ، وطالبته بأن يعيد على مسامعي تلك الكلمات مرة أخرى ، فربما لم تمكني حالتي من سماعها جيدا .
وتأكدت مما سمعت ، فهالني ما قال لتوه . وانتابني بكاءا حارا لم أكف عنه طوال ليلتي .
إن رفضت ؛ أين سأذهب ومن سيأويني ؟ لا عائلة لي ولا أقارب . كما أنني لا أجيد عمل شئ سوى أن أكون زوجة متفانية تعد الطعام وتنتظر زوجها كل مساء و لم أنل قسطا من التعليم يؤهلني لمواجهة مصير لم أتبين ملامحه بعد .
وإن قبلت ؛ ستتفنن زوجته الجديدة في إذلالي ، وستكيد لي حتما .
قلت له بصوت مكسور (موافقة على البقاء ، لا أمتلك حلولا أخرى)
ولعنت عجزي وهواني ، وبت أخشى ذلك اليوم الذي سيجمعني بها تحت سقف واحد .
وجاء ذلك اليوم سريعا ، وكأن القدر يأبى أن يمهلني بعض الوقت قبل أن تتجدد أحزاني .
جاءت ، وكانت المعنى الحرفي لكلمة (حرباء) ، لها قدرة عجيبة على التلون كيفما ومتى أرادت .
أمامه ، مسكينة خاضعة خانعة ، تحبني وتكن لي الخير .
وما أن يذهب ، تسقيني من كؤوس الذل أشكالا وألوانا .

تجرعت الكؤوس كلها رغم مرارتها ولم أبدي اعتراضا .
وحدث ما كنت أخشاه بسرعة ، نعم ، هو الذي توارد إلى ذهنكم الآن ، حملت زوجة زوجي !
كنت أسمع أصوات ضحكاتهما من داخل غرفة نومي .. عفوا ، من غرفة نومي السابقة ، فأغلق باب غرفتي ، وأضع وسادة صغيرة تحت ملابسي ، وأجوب الغرفة ممسكة بظهري ، أقلدها في مشيتها ، وأتخيل جنينا يكبر في أحشائي ، ثم أفيق من أحلامي على صوته الجاف يناديني بأن أسرع لأجلب لها وعاءا تفرغ به ما بمعدتها فهي تشعر بالغثيان ، (هكذا الحمل ، أنى لك أن تعرفي ؟)
ذهبت مهرولة بعد أن نحرت عنقي كلماته المصقولة كالسيف .
فانهال على ما تبقى مني وقال (إذهبي إلى السوق بسرعة وإحضرى حبات البرقوق الطازجة ، فهي تريد أن تتذوقها الآن ، هيا أسرعي)
ارتديت ملابسي على عجالة وجبت السوق بأكمله بحثا عن ما تريد فلم أجده ، إذ أن موسمه لم يحن بعد
وعدت إلى المنزل بحقيبة فارغة ، فتعالى صوته أمامها وقال (كيف تجرؤين على الرجوع هكذا خاوية ؟ هل تريدين أن تلحقي ضررا بها أو بطفلي ؟ أين ما طلبته منك أيتها الغبية ؟ !)
استحالت غرفتي إلى قبر أدفن به نفسي كل ليلة وأضحت حياتي قاتمة كوحل رطب غاصت به أعماقي منذ مجيئها . وبالرغم من كل ما قلت
ساعدتها ، أعددت لها الطعام ، غسلت ملابسها ، نظفت غرفتها ، رتبت سريرها ، تحملت صراخها ، كنت في شهور حملها الأخيرة -بأمر من زوجي - أضع قدميها في وعاء من الماء الساخن وأدلكهما بالزيوت حتى تزول آلامهما .
تحولت إلى خادمة مع مرتبة الشرف ولم أبالي ، وجل ما آلمني حينها ؛ هجر زوجي لي !
ثم جاء ولى العهد الصغير ، ولا أخفيكم سرا ، كنت أتشوق لرؤيته كثيرا ، وأتوق لهدهدته بين ذراعي .
ولكنها أبت ، منعتني حتى من النظر إليه ، سمعتها تقول لزوجي (لا لن أجعلها تراه أو تلمسه ، فأنا أخاف على صغيري منها ، من الممكن أن تؤذيه أو تصيبه بالعين ، ألم يذكر الحسد في القرآن ؟)
انتظرت رد زوجي على بهتانها ، فلم أسمع له صوتا .
ثم جاءني زوجي ذات ليلة في غرفتي ، يمشي بحذر ، ففرحت ، وظننت أن الشوق قد ألم به ، ولم تدم فرحتي ،
قال ببرود (أعتذر لك ، لم يعد لك مكانا بيننا)
جننت وأخذت أصرخ ، فوضع كفه على فمي بقسوة قائلا لي (اخفضي صوتك من أجل الصغير ، إذا كنت قد أحببتني يوما ؛ فلا بد أن ترحلي . صرنا أسرة صغيرة الآن وزوجتي لا تحبذ وجودك ، من أجل الصغير إرحلي ، سأمهلك حتى الصباح)

انصرف وتركني ألهث من الصدمة التي لحقت بي ، لم أصدق ما قاله لي ، قضيت ليلتي أنتحب دون أن يشعر أحد بي .وتساءلت بصوت بح من أثر البكاء : هل هذا جزاء إحساني إليهما ؟!

فنويت الرحيل ، يكفيني تلك الأجزاء الصغيرة التي تبقت من كرامتي ، من الأفضل لي أن أرحل .

فجهزت حقيبتي ، وخرجت من المنزل بعد الفجر بقليل أجر أذيال خيبتي ، وأخذت معي تذكارا منهما ، تذكار صغير جدا ..

أخذت معي صغيرهما !!! وها أنا أقف الآن على مشارف نهر صغير ، لا أدري ماذا أفعل به !

القصة الثامنة

تضحية...

مات زوجي وأنا في مقتبل العمر تاركا لي طفلة لم تكمل عامها الثالث بعد .
كنت حينها في سن الثالثة والعشرين ، لم يدم زواجنا سوى أربع سنوات فقط ، قضيتها معه في سعادة لم أفق منها إلا على خبر موته إثر حادث أليم .
دخلت في انهيار حاد شمل كل جانب من جوانب حياتي . تألمت ولكنني صبرت وتماسكت . ظل شبح تلك الليلة يطاردني في يقظتي وأحلامي . كنت أتخيله وهو يغادر مكان عمله بسرعة حتى يعود ليقضي المساء معي أنا وطفلته المدللة ، أتخيل تفاصيل ذلك الحادث الذي أخذه مني وحملني مشقة فراقه لي . ظلت ابنتي تبحث عنه في أرجاء بيتنا غير مستوعبة غيابه المفاجئ ، وغير مدركة أنها لن تراه مرة أخرى سوى في تلك الصورة التي علقتها في غرفتها .
ثم طالبني أهلي بالزواج ، فأنا لازلت شابة على حد قولهم ومن حقي أن استمتع بحياتي وأكملها مع زوج يساعدني في تربية وحيدتي .
ولكني رفضت باستماتة ، فزوجي ما زال يملأ قلبي وعقلي ، كما أنه من المستحيل أن أقبل بأن يشاركني في تربية ابنتي رجل غير أبيها .
تحديت تقاليد مجتمعي ، وثرت في وجه أمي وأبي حين طالبوني بالموافقة على رجل ميسور الحال يرغب في الزواج مني ، قلت :
- لن أتزوج ، دعوني وشأني .. سأقوم بتربية ابنتي وحدي
كان رد أبي قاسيا :
-ومن سيتكفل بالنفقة عليك وعلى ابنتك ؟ نحن لن نتكفل بكما !
قلت باصرار :
- لن نحتاج لأحد ، فالله معنا . ثم بدأت اكتشف حجم المعاناة التي سأعانيها بعد فراق زوجي الحبيب ، تبدل حالي ، و عانيت من الفقر والحاجة ، فزوجي كان عاملا بسيطا ، لم يترك لنا مالا أو ثروة . بحثت عن وظيفة لأحفظ بها ماء وجهي ، ولتغنيني عن السؤال ، ثم وجدت عملا بسيطا في أحد المصانع الخاصة بتفصيل الملابس النسائية . تفانيت في عملي وأتقنته ،
كان مرتبي في البداية ضئيلا للغاية ، ولم يكن يكفي احتياجات ابنتي ، حتى أنني أحيانا لم أكن أجد قوت يومي ، كنت أطعم ابنتي آخر لقمة في البيت وأنام ليلتي وأنا أتضور جوعا ، لم ألتفت للألم الذي كاد أن يفتك بأمعائي من شدة الجوع ، المهم أن ابنتي تشعر بالشبع وتنام قريرة العين .
جاءت أمي تسأل عن حالي يوما ، فقلت :
- نحن في أحسن حال يا أمي

سألتني :
- أمازلت تصرين على عدم الزوا ج ؟
قلت :
- لن أقبل بزوج آخر غير زوجي
فصاحت في وجهي :
- ولكنه مات ، مات
جاوبتها وأنا أبكي :
- ولكنه معي ، أعيش معه وأحكي له تفاصيل يومي ، هو في عقلي وقلبي !
قالت بنفاذ صبر :
- وابنتك ؟ !
قلت :
- ستعرف مدى تضحيتي حين تكبر وستشكرني على ذلك ، سأفني نهاري كله في العمل من أجلها وفي الليل ، لن يتقاسمني معها أحد .
ثم تراكمت الديون علي ، أجرة البقال وأجرة البيت وفواتير الكهرباء والماء ، وطلبات ابنتي التي لا تنتهي .
كان الموت أحب إلي من أن أرى نظرة حرمان في عينيها . ولذلك ، بحثت عن عمل إضافي حتى أضاعف به دخلي .
فعثرت على عمل آخر عند سيدة طيبة ، كنت أساعدها في شئون منزلها كل يومين أو ثلاثة ، لم أخبر ابنتي بطبيعة ذلك العمل حتى لا تشعر بالحرج ، و كانت تلك السيدة تعاملني بلطف وكرم ، كنت أنتهي من عملي في المصنع في الصباح وأعود إلى البيت ، أعد الطعام واستقبل ابنتي حين تعود من مدرستها ، وفي يوم ذهابي إلى تلك السيدة ، كنت أخبرها بأنني أعمل في فترة مسائية في نفس المصنع ، و أتركها عند جارة لي ترعى شؤونها وتهتم بها إلى أن أعود .
كنت أنظر إلى صورة زوجي كل ليلة ، أحدثه عن الحمل الثقيل الذي انحنى له ظهري ، وأخبره من بين دموعي بأن تلك الهدية التي تركها ليه هي من تخفف عني وحدتي وأحزاني ، أخبره بكل صغيرة وكبيرة تفعلها ، أحكي له تفاصيل يومها ، والتصرفات المضحكة التي كانت تقوم بها . كنت أصف له جمالها الملفت ، وتفوقها في مدرستها . أحكي كل ذلك وكأنه معي ، يشاركني غرفتي ويجلس أمامي .
مرت السنوات بسرعة ، وكبرت ابنتي ، لم أدخر جهدا في تربيتها وحرصت على تعليمها حتى وصلت للمرحلة الجامعية ، وكنت أبذل ما بوسعي حتى أشتري ما يحلو لها من الثياب والطعام ، لم أشعرها أبدا بمعاناتي ، ولم أخبرها بآلام ظهري التي لازمتني بسبب العمل الشاق الذي أقوم به، لم

أشأ أن أحملها هما لاطاقة لها به . كنت أراها كوردة ربيع تزهر أمامي كل يوم ، فأنسى بها ومعها كل وجع وكل ألم مررت به .
كنت أحمد الله على وجودها معي كل يوم ، فقد كانت تحمل ملامح أبيها ، نفس العينان الواسعتان ، والأنف الدقيق الشامخ ذاته . ولذلك كنت أطيل النظر إلى وجهها الجميل وكأنها الذكرى التي تركها زوجي لي لأضمها إلى صدري حين أشتاق إليه .
قالت لي يوما :
- أمي ، أريد ملابس جديدة .. لا أود الذهاب إلى الجامعة بتلك الملابس البالية
لم تلحظ حينها أن حذائي الذي اشتريته منذ سنوات والذي لا أمتلك غيره قد اهترئ تماما ولم يعد صالحا للسير به .
ولكنني قلت بابتسامة عريضة :
- وهل من المعقول أن لا أنفذ طلبا لوردتي الصغيرة ؟!
طبعت على خدي قبلة طويلة وذهبت تدندن بأغنية تحبها وهي تطير كالفراشة .
كان قبلتها تنسيني شقاء أيامي ، وتذهب عني ما يقلقني ويكدر صفوي .
ومنذ أول يوم لها في الجامعة جاءت تخبرني عن ذلك الوسيم الذي تعرفت به ، كانت تصف لي كيف أتى ليخبرها عن موعد المحاضرة بعد أن سألها عن اسمها وعن القسم الذي ستلتحق به .
كانت تعبر بكل ما فيها عن ذلك اللقاء فقامت وأخذت تمثل كيف كان يتكلم ، وكيف كان يبتسم ، كنت أنظر إليها باهتمام شديد ، فقد كنت أحب منها ذلك الحماس الذي ينتابها حين تحكي لي تفاصيل أمر هام حدث معها .
مرت أعوامها في الجامعة تباعا ، وازداد اقترابها من ذلك الوسيم ، وكنت على علم بكل ما يدور بينهما . كانت تحكي لي أدق تفاصيلها معه ، تطلب مشورتي وتسألني عن رأيي .
كنت أثق بعقلها وباختياراتها . وتأكدت من حبها له ، فطلبت رؤيته .
جاءني ذلك الشاب وأخبرني بحبه لابنتي ورغبته في خطبتها ، وبسبب ذلك الحب الكبير الذي بدا جليا في عينيه ، وبسبب ما التمسته منه من طموح وحماس ، وافقت على خطبتهما . وبذلت جهدا إضافيا في العمل حتى أستطيع أن أوفر لابنتي كل ما تحتاجه استعدادا لزواجها القريب . وكنت أذكر نفسي حين أتوق للراحة ، بضرورة أن تظهر أمام أهل خطيبها بمظر لائق ، فكنت أعمل في بيتين أو ثلاثة يوميا بالإضافة لعملي الصباحي في المصنع ثم أعود في المساء بجسد متعب وظهر محني من شدة الألم .
كانت تأخذني من يدي فور وصولي إلى البيت وتذهب بي إلى غرفتها وتقول بفرحة :
- انظري يا أمي ماذا اشتريت اليوم .. ما رأيك بهذا ؟ وهذا .. وهذا ..
كانت ألامي تزول تلقائيا ، بمجرد أن أسمع صوت ضحكاتها

فأقوم إليها أعانقها بشدة وأشم فيها رائحة زوجي الحبيب .
كنت أبكي حين أتخيل أنها ستفارقني ، ولكني كنت أخفي تلك الدموع عنها ، فحبيبتي تستعد لزفافها ، فكيف لي أن أكن سببا في حزنها ؟
وجاء اليوم الموعود ، اليوم الذي كنت أحلم به مع والدها وهي لا تزال في رحمي ، فتمنيت أن يكون معنا ، يمسك بيدها ويسير بها إلى عريسها ، و تذكرت كلماته يوم مولدها :
- ترى ..هل سيمد الله في عمري إلى أن تكبر وتتزوج ؟
حينها ، قلت له بلهفة :
- لا تقل هذا أرجوك .. سنفرح بذلك اليوم إن شاء الله سويا ..
تزينت ابنتي ، وبدت كملكة في فستان زفافها وبكيت في ذلك اليوم كما لم أبك من قبل ، لأنني سأعود إلى البيت وحدي دونها .
وصلنا إلى قاعة الحفل ، كانت تمشي بشموخ الأميرات ..وكان عريسها ينتظرها في مدخل القاعة يحيط به الأحباب والأقارب ، ترتسم الفرحة على وجوههم ويطلقون الزغاريد والتبريكات . أمسكت يدها بشدة وسرت معها في فخر ، ولسان حالي يقول :
نعم ..تلك الجميلة البهية هي ابنتي التي بذلت الغالي والنفيس من أجلها .
كنت أتابعها بعيني ، كانت ترقص وتتمايل من فرط سعادتها ، وكانت سعادة زوجها بها لا توصف ، كان يعانقها ويقبل جبينها كما كان يفعل والدها .
ثم انتهى الحفل ..وكنا نقف في حلقة حول العروسين ، وتفاجئت بسيدة تقترب مني وتقول :
- أهلا ، يا خالة .. كيف حالك ؟
لم أتعرف عليها في بادئ الأمر ..ثم تذكرتها ! كانت ابنة لإحدى السيدات اللاتي كنت أعمل في منزلهن كخادمة !
سكت ولم أنطق ، ونظرت لابنتي فوجدتها تنظر إلي وكأنها تستغرب من معرفة تلك الصبية بي ، فقد كانت من أقارب زوجها . لم يلحظ زوجها الأمر كله .
ثم ذهبت ابنتي إلى بيتها الجديد ، وعدت أنا إلى بيتي الصغير ، دخلت إلى غرفتها فسمعت صوتها يدندن بتلك الأغنية التي كانت تتغنى بها حين تشعر بالسعادة . نظرت إلى صورة والدها وقلت :
- لقد أديت رسالتي يا حبيبي .. أرجو أن تكون راض عني ..
ونمت ليلتي في غرفتها وأنا أحتضن تلك الصورة التي لا تفارقني .
ثم قمت في الصباح على صوت طرق شديد على باب بيتي ..
فذهبت مسرعة لأرى من هذا الذي يطرق بابي بتلك الطريقة وفي هذا الوقت المبكر .
فتحت الباب وتفاجئت بابنتي تدخل وهي تنظر إلي بعينين حمراوتين من أثر البكاء فانقبض قلبي وانعقد لساني . وقبل أن أسألها عن ما بها صرخت في وجهي وقالت :

- لماذا لم تخبريني بأنك كنت تعملين كخادمة ؟
قلت بصوت ضعيف :
-اهدأي يا ابنتي ..لا تصرخي هكذا ولا تنفعلي .. سيصيبك مكروه
قالت :
- تلك الصبية أخبرت زوجي بأنك كنت تعملين خادمة في بيتهم ..هل تعلمين ماذا قال عنك ؟ حسنا.. سأخبركي ..قال لي كيف ستكون جدة أطفالي خادمة ؟ واتهمني بالغش والتدليس .. كل هذا بسببك أنت ! كيف تفعلين هذا بي ؟
فقلت وأنا أبكي :
- لا تكوني قاسية علي يا ابنتي ، فعلت ذلك من أجلك ..
قالت بسخرية :
- من أجلي ؟ ! لقد جلبت لي العار أمام أهل زوجي ..كيف سأرفع رأسي أمامهم
قلت :
- العمل ليس عيبا أو وصمة عار ما دام حلالا .. إن كان يحبك سيعود إليك .. و اقتربت منها لأضمها إلى صدري حتى تهدأ
فابتعدت عنى و أزاحت يدي عنها بقسوة وقالت :
- ابتعدي عني ..أنا أشعر بالعار منك !
ثم ذهبت بعد أن أغلقت باب البيت بقوة ..
شعرت بالدوار حتى كدت أن اسقط ، وارتميت على مقعد
كان بجواري ، كاد قلبي أن يتوقف ، وشعرت بأن أنفاسي بدأت تخبو شيئا فشيئا ، تحاملت على نفسي وذهبت إلى سريرها ، تحسست موضع مرقدها و لم أكف عن البكاء لحظة لأنني كنت سببا في كسرتها ، ووضعت رأسي على وسادتها وأنا اعتصر ألما لما سببته لها ، عانقت صورة زوجي بشدة وأنا أتمتم :
- متى ستفهم أنني فعلت كل ذلك فقط من أجلها ؟ !